

يسير فيليله

(بقية المنشور على صفحة ٦)

بعضهم من بعض أو تقليد المؤلفين بعضهم لبعض لا يعنى أصحاب الاستقصاء من العلماء وخدامهم ، وإنما يمكن أن يقال فى كتبه كلها ما قاله اميل بوترو حين قرأ كتابه الأول : « إنه يظهر فى هذا الكتاب مفكراً مروياً ، ماهراً ، نقاداً ، فيلسوفاً ، يمس بدقة غريبة أخفى الفروق . وما بين الافكار والآراء من صلات .

ولكن أنزاد اتفق جهده الضعيف الحصب كله فى درس موتيني ؟ ألم يتنه الا الى طبعة كتاب موتيني التى ظهرت سنة ١٩٢٢م التى وصفها اخصائى ماهر هو المسير هنرى شمار فقال انها توشك أن تبلغ الكمال . كلا . فلنذكر كتابه الذى ساهم مصادر الآراء فى القرن السادس عشر : أو كتابه عن المصادر الايطالية لمقالة الدفاع عن اللغة الفرنسية الذى يظهر فيه بين ما أظهر من الغرائب أن القسم الذى ثبت فيه دليله مساواة اللغة الفرنسية للاتينية واليونانية ليس الا ترجمة من كتاب سيرون سيرونى ألفه فى مدج اللغة التسكانية . ولندكر إبحائه عن دوينيه وإبحائه عن مونلوك : وأحدث كتبه الكبرى (مارو ورايله) . فهو قدعنى بروخته وهى هذه الروضة النظرة روضة النهضة الفرنسية ، فلم يهمل منها شيئاً ثم هو لم يكتف بخدمة الآداب ، وإنما اتفق اعظم جهده للمادى والعقل والشعورى فى الاحسان الى اصدقائه المكفوفين . فعاش كما عاش فالتان هاوى ، وبراى ، وموريس دى لاسيزيران . وقد استحق من المكفوفين تقديس ذكرا بكتابه « عالم المكفوفين » وكتابه « تربية المكفوفين » ، وباحسانه اليهم فى غير انقطاع .

أما حياته الخاصة ، أما المعونة التى وجدها عند زوجه بنت اميل بوترو التى تأثرت بوفاء امها لابيها ، فلم تفارق ذروجهما يوماً واحداً والتى كادت تموت معه يوم ١٢٤ أكتوبر ، فلا استطاع ان اشير اليها الا فى خفة وسرعة ، وحرص شديد على ما يبنى من التحفظ . ولكن جميع الذين عرفوا يسير فيليله وأحبوه يرون من الخبر والعدل أن أقول فيه ما قاله موتيني حين تحدث عن صديقه ايتين دى لا بويى : « انى أعرف كثيراً من الناس يمتازون بانحاء من الخير والجمال ، هذا يمتاز بالعقل ، وهذا يمتاز بالقلب ، وهذا يمتاز بالمهارة ، وهذا يمتاز بالضمير ، وهذا يمتاز بالحديث ، وهذا يمتاز بعلم ، وهذا يمتاز بعلم آخر ، أما هذا فقد كان حقاً ذا نفس مليئة وكان يستقبل الاشياء كلها احسن استقبال : نفساً من تلك النفوس التى وسما القدم بسمه العتق والرق الصحيح » ؟

ونحياهم وميلهم الى السداجة واستراحتهم اليها من حشد الحياة وعنائها ما يجب اليهم هذه الاخبار ، ويرغبهم فيها ويدفعهم الى أن يلتصوا عندها الترفيه على النفس حين تشق عليهم الحياة . ووفق عظيم بين من يتحدث بهذه الاخبار الى العقل على أنها حقائق يقرها العلم وتستقيم لما مناهج البحث ، ومن يقدمها الى القلب والشعور على أنها متيرة لعواطف الخير ، صارقة عن بواعث الشر ، معية على انفاق الوقت واحتمال أفعال الحياة وتكاليف العيش

وأحب أن يعلم الناس أيضاً انى وسعت على نفسى فى التخصيص ومنحتها من الحرية فى رواية الاخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأساً الا حين تصل الاحاديث والاخبار بشخص النبى أو ينحو من انحاء الدين ، فانى لم أبح لنفسى فى ذلك حرية ولا سعة ، وإنما التزمت ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية وعلماء الدين .

ولن يعجب الذين يريدون أن يردوا فصول هذا الكتاب القديم فى جوهره وأصله ، الجديدى صورته وشكله ، الى مصادر القديمة التى أخذ منها ، فهذه المصادر قليلة جداً لا تكاد تتجاوز سيرة ابن هشام ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبرى . وليس فى هذا الكتاب فصل أو تبا أو حديث الا وهو يدور حول خبر من الاخبار ، ورد فى كتاب من هذه الكتب ، فاذا اتصل الخبر بشخص النبى فانى أردته الى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع اليه ، لا أحتمل فى ذلك تبعاً خاصة لانى لا أذهب فيه مذهبا خاصا الا أن يكون تبسطا فى الشرح والتفسير ، واستنباط المعبرة ، والوصول بها الى قلوب الناس فليس الله سبيل هذا الكتاب الى النفوس ، وليحسن الله موقعه فى القلوب ؟

طه حسين

تصدر الرسالة

فى يوم الاثنين

من كل أسبوع